المحاضرة الثامنة

تابع صور من أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم)

– رابعاً : تواضع النبي (صلى الله عليه وسلم) :

1 . لقد كانت سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) العملية مثالاً حياً فذاً في التواضع، وخفض الجناح، ولين الجانب، وسماحة النفس، حتى إنه كان ليمر على الصبيان يلعبون، فلا تحجبه النبوة والمنزلة العظمى التي خصه الله بها من بين الناس جميعاً من أن يسلم على أولئك الصبيان، ويهش لهم، ويتبسط معهم . فقد ذكر أنس (رضي الله عنه) أنه مر على الصبيان فسلم عليهم، وقال : ((كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل ذلك)).

2 . ويروي أنس (رضي الله عنه) من تواضع النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الأمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد النبي (صلى الله عليه وسلم) فتنطلق به حيث شاءت، يقضي لها حاجتها.

3 . ((لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت)).

– صور من أخلاق أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) :

حرص الصحابة (رضوان الله عليهم) على التزام آداب ومبادئ مهمة كان لها عظيم الأثر في حسن الحفظ وتمام الضبط وقدرتهم في تبليغ دعوة الله للناس، ومن هذه الآداب والأخلاق:

–أولاً : الإنصات التام وحسن الاستماع :

فقد كان رسول الله (صلى الله عليه و سلم) أجل في نفوس الصحابة وأعظم من أن يلغوا إذا تحدث، أو ينشغلوا عنه إذا تكلم، أو يرفعوا أصواتهم بحضرته، وإنما كانوا يلقون إليه أسماعهم ويشهدون عقولهم وقلوبهم، ويحفزون ذاكرتهم .

فعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الحديث عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه قال : « ... وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ... »

– ثانياً : ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدث حتى يفرغ :

وهذا من تمام الأدب، المفضي إلى ارتياح جميع الجالسين، وإقبال بعضهم على بعض، والمعين على سهولة الفهم، والتعلم.

ففي حديث علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) قال: (لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم ..).

– ثالثاً : ترك التنطع وعدم السؤال عن المتشابه :

وذلك تطبيقاً لتحذير النبي (صلى الله عليه و سلم) من ذلك وتشديده على المتنطّعين، نهيه عن مجالستهم .

فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: تلا رسول الله (صلى الله عليه و سلم) هذه الآية: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ) فقال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) : « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»

– رابعاً : يؤثرون على أنفسهم .

الإيثار : أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه و سلم) فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) : « من يضم أو يضيف هذا »، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ،

فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ، فقال: «ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما» فأنزل الله: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}.

– خامساً : علو همتهم في طلب العلم :

الصحابة (رضي الله عنهم) قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في الهمة العالية في طلب العلم، وإليك بعضًا من النماذج :

1 . عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإنَّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينًا ألزم رسول الله (صلى الله عليه و سلم) على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون .

وقال النبي (صلى الله عليه و سلم) يوماً : ((لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا)) ، فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها، حتى قضى النبي (صلى الله عليه و سلم) مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدَّثتكم شيئًا أبدًا : ((إن الذين يكتمون ... الرحيم)).

2 . عن ابن عباس(رضي الله عنه) قال: (لما قبض رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و سلم) من فيهم؟ قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله(صلى الله عليه و سلم) ، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ما جاء بك ؟ هلّا أرسلت إليّ فآتيك ؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني) .

– سادساً : القناعة والرضا باليسير:

لقد سار صحابة رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ، على ما كان عليه واتبعوا آثاره، وتخلقوا بأخلاقه، وعاشوا التقشف والزهد في أول أمرهم نظراً لقلة ذات اليد، ثم انتشر الإسلام وجاءتهم الغنائم وفتح الله عليهم، فلم تؤثر هذه الأموال التي اكتسبوها من الغنائم على زهدهم، بل استمروا على ما هم فيه من قناعة وتقشف .

– و هنا نذكر بعض النماذج من قناعة الصحابة وبعدهم عن الطمع :

1 . عن عائشة قالت: (من حدثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتح (صلى الله عليه و سلم) قريظة أصبنا شيئاً من التمر والودك).

2 . عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ، إما إزارٌ وإما كساءٌ، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده، كراهية أن ترى عورته) .

– سابعاً : تعاملهم مع الغضب :

روي أن رجلاً قال لعمر : إنك لا تقضي بالعدل، ولا تعطي الحق. فغضب واحمر وجهه، قيل له: يا أمير المؤمنين، ألم تسمع أن الله يقول: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهذا جاهل، فقال: صدقت، فكأنما كان ناراً فأطفئت.

أسمع رجل أبا الدرداء (رضي الله عنه) كلاما ، فقال: يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصلح موضعا فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .